3. شمال أفريقيا

يمكننا الحديث عن مدرسة اجتماعية ذات تأثير مهم في شمال أفريقية عموماً والجزائر على وجه الخصوص، تأسست على يد ثلة من المختصين الفرنسيين، في أثناء الاحتلال الاستعماري، وكان هدف هذه المدرسة معرفة المنطقة وتحليل البنيات الأولية التي تقوم عليها، ولقد اهتمت هذه المدرسة بشكل خاص بموضوع الدولة وعلاقتها بالبدو أو القبائل تحديداً، ولعل دراسات **روبرت مونتجاي** وتلاميذه وجهودهم، ومنهم الأبحاث المبكرة **لبييربورديو**، وكذلك دراسات **لوطرنو وبيل وجاك بيرك**، وشيء من دراسات **لوسيت فالنسي** وغيرهم، وبطبيعة الحال، على الرغم من أهمية هذه الدراسات إلا أنها تعالج موضوعاتها من زاوية مصلحة الإدارة الاستعمارية، وكذلك انحصرت اهتماماتها في تلك الاهتمامات.

لكن مع الاستقلال ظهرت اهتمامات جديدة جادة، لعل أبرزها معهد الدراسات والبحوث الاجتماعية الذي ترأسه لفترة **عبد الكبير الخطيبي** – **المغرب**- ، وفي هذه الفترة ظهرت دراسات غاية في الأهمية، وتعد دراسات **بول باسكون** الميدانية من أبرز النماذج وأفضلها، تركزت الاهتمامات حول قضية التنمية والتغير الجغرافي، وتأسس قسم لعلم الاجتماع في جامعة محمد الخامس برئاسة **محمد جسوس** والتحق بالقسم لفيف من العلماء، ويظهر راهناً بعض الاهتمامات بالدراسات الاثنوجرافية

يعد قسم الاجتماع بالجامعة **التونسية** من الأقسام البارزة؛ سواء من حيث الكوادر من أمثال **عبد الوهاب بوجوبتة والهرماسي والطاهر لبيب** وغيرهم،وتتميز تونس أيضاً بمراكزها البحثية التي يجد فيها بعض علماء الاجتماع الدعم، كما هو الحال في دراسات **عبد القادر الزغل** وزملائه.

ولا بد من الإشارة إلى أن أقسام الاجتماع في **الجزائر** شهدت ازدهاراً، و برز الاهتمام بدراسة (الإسلام السياسي) ، أما في **ليبيا** فإن الاهتمام بتأسيس أقسام الاجتماع كان من مهام **مصطفى الثبر** الذي يهتم بالدراسات الحضرية والأيكولوجية عموماً .

وإجمالاً، لا يمكننا القول بأن علم الاجتماع في شمال أفريقيا يمر بمرحلة مخاض، إذ لا تزال المدرسة الفرنسية التقليدية والحديثة هي المسيطرة، لكن هناك بوادر ظهور تأثير للمدرسة الأمريكية في أبحاث بعض الدارسين، بالاضافة الى ميل بعض الدراسات إلى الدراسات الأنثروبولوجية وذات الطبيعة المتعددة المراحل، حيث تتشابك الدراسات التاريخية والأدبية بالدراسة الاجتماعية؛ على الطريقة الفرنسية، ومما يلفت النظر أن

العديد من الدراسات الجادة تصدر بالفرنسية أو الإنجليزية، أحياناً، وبهذا تبقى الخزانة الاجتماعية العربية محدودة، إضافة إلى أن الإنتاج الشمال إفريقي قليلاً ما يكون معروفاً في بقية العالم العربي، وهو أمر لا يصدق على الكتاب المشرقي، وعلى الأخص الذي يُطبع أو يوزع في القاهرة أو بيروت أو دمشق.

4 .دول الخليج واليمن

نشأت الجامعات ومن ثم أقسام الاجتماع متأخرة نوعاً ما ، أثرت فيها تقاليد الجامعات العربية وعلى الأخص المصرية بسبب اعتمادها على استعارة العديد من أعضاء هيئة التدريس، بل والكتب الجامعية، على الأقل في السنوات الأولى من بدايات هذه الجامعات، لكن هذه الجامعات قامت بابتعاث العديد من الطلاب للدراسات العليا في جامعات غربية وعربية وتمكن العديد منهم من لعب أدوار مهمة جداً في الدفع بالمستوى الجامعي إلى الأمام بعد عودتهم، ونظراً لأن دول مجلس التعاون كانت تمر بمرحلة تنمية شاملة، كان التوسّع في بناء الجامعات وإعداد الكوادر التي عليها القيام بالعديد من المساهمات في تحديث البلاد وتطويرها.

برز بعض الرواد في هذه التجربة، مع قصرها، فعلى سبيل المثال تميزت التجربة **الكويتية** بإصدار دوريات جامعية متخصصة في العلوم الاجتماعية تقوم على تحكيم علمي صارم، وشبكة توزيع واسعة شملت كافة أرجاء العالم العربي، واهتم بعض علماء الاجتماع بدراسة أثر البترول على المجتمعات الخليجية كما هو واضح في دراسات مح**مد الرميحي** وغيره، أو دراسة القبيلة والدولة كما هو الحال في دراسات **خلدون النقيب**، أو دراسات التغيرات الاجتماعية في الأسرة والجريمة وغيرها من تحولات في المجتمع الكويتي المعاصر كما هو الحال في دراسات **ثاقب فهد الثاقب**.،بالإضافة إلى ذلك قدمت العديد من الدراسات السكانية نظراً لتوافر الإحصائيات العامة بشكل منظم، وكذلك دراسة العمالة الوافدة وخصوصاً عمالة الخدم والسائقين.

شكل(النموذج)الجامعي الكويتي مثالاً للعديد من البلدان الخليجية ، وتعد تجربة الجامعة **البحرينية والقطرية والإماراتية والعمانية** تجارب مشابهة، وإن كانت لا تزال حديثة، وبدأت تتشكل فيها اهتمامات بحثية تخص منطقة الخليج، وربما كانت جمعية علم الاجتماع **الإماراتية** رائدة في الاهتمام بدراسة مظاهر التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الإماراتي الذي يمر بتحولات سريعة، ويعد الكتاب السنوي

لدراسات الإمارات العربية نموذجاً لما يمكن أن تسهم به مؤسسة من مؤسسات المجتمع المدني المختصة بالإضافة إلى مجلة شؤون اجتماعية .

ان تشكل أقسام الاجتماع الخليجية إجمالاً رافداً مهماً في دراسة ثقافة المجتمعات الخليجية وبنيتها، ويعد مركز التراث الشعبي في قطر معلمة للاهتمام بالتراث والتقاليد الشعبية في دول الخليج، ولقد اعتمد المركز وأمثاله على الكوادر الأكاديمية، مما أدى إلى زيادة الاهتمام بهذا التراث، ولا تشذ التجربة **اليمنية** عن التجارب الجامعية الخليجية، فقد مرت بالمؤثرات نفسها، وشكلت اليوم منها كوادر وطنية طورت الاهتمام بدراسة المجتمع اليمني اجتماعياً وثقافياً، لكن نظراًلبعض الخصوصيات التي يتميز بها المجتمع اليمني .

ان تجربة الجامعة الكويتية تستحق الإشادة ولكنها في الوقت نفسه يتوقع منها أكثر مما قدم إلى الآن وخاصة في الجوانب التنظيرية! الموضوعات حظيت باهتمام ربما لا نجده في العديد من الجامعات الخليجية الأخرى، وتبقى التجربة السعودية فريدة، فهي بدأت في مرحلة مبكرة نسبياً، ربما مع البداية الكويتية أو قبلها، وكانت قد تأثرت بالمدرسة المصرية بسبب استعانتها بكادر تعليمي مصري وعربي إجمالاً، لكن ظهر فيها تيار يدعو لما عرف بالتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، بالإضافة إلى أن أعداد كبيرة من الدارسين قدموا دراسات وأبحاثاً في مجالات التنمية والدراسات الديموجرافية.

عموما ، يمكننا القول إن علم الاجتماع في دول مجلس التعاون يمر بمرحلة تطور مستمر، لأسباب عديدة، لعل من أهمها أن هذه المجتمعات مرت في العقود القليلة الماضية بتطورات وتحولات مادية سريعة تقتضي عمليات تكيف اجتماعي وثقافي واسعة، وهذا يجعل الحاجة لدراسات علماء الاجتماع وتحليلاتهم ماسة لتوضيح مدى التكيف أو عدمه في هذه المجتمعات مع هذه التحولات، كذلك مرت هذه المجتمعات بتحولات بنيوية عميقة في البنية الاجتماعية على المستوى الفردي والأسري والمجتمعي المحلي، وجميعها تستلزم فهماً ودراية للتفاعل مع هذه التحولات والقدرة على إيجاد صيغ اجتماعية ثقافية جديدة من شأنها أن تمكّن المجتمع بشكل عام ليس أن يفهم ما يجري فقط، وإنما أن يبدع أساليب توفيق بين التقاليد المتوارثة والظروف والملابسات الحديثة، بحيث لا تقع قطائع ثقافية بين الأجيال أو بين فئات اجتماعية مختلفة :تقليدية حديثة .

ملاحظة : يمكن للاطلاع اكثر العودة الى المراجع التالية :

1. أبو بكر باقادر، تراث وتحديات وآفاق العلوم الاجتماعية في العالم العربي.

2. عبد القادر عرابي وعبد الله الهمالي، إشكالية– علم الاجتماع واستخدامه في الجامعات العربية، بيروت مجلة المستقبل العربي